مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center For Dialogue
R.C.D

مقالات RCD

تصارع القوى الكبرى:
ملامح الهوة بين نظامين

رضا طلال

تنويه

ان كل الاراء الواردة في هذا المقال تعبر عن رأي كاتبها

نبذة عن مركز الرافدين للحوار

يُعَدُّ مركزُ الرافدين للحوار RCD من المراكز النوعية في العراق التي تجمعُ على منبرها النخبَ السياسيةَ والاقتصادية والأكاديمية الناشطة في تداول الافكار البناءة، فهو مركز فكري مستقل (THINK TANK)، يعمل على تَشجِيعِ الحِوارات في الشؤون السِياسِيّةِ والثَقافية والاقتصادية بين النخب كافة؛ لتعزيز التجربة الديمقراطية، وتحقيق السِلْم المجتمعي، ورفد مؤسسات الدولة والمجتمع بالخبرات والرؤى الاستراتيجية؛ ابتغاء تفعيل دورها والارتقاء بأداءها. و يمثل المركز فضاءً حراً يتّسِم بالموضوعية والحياد ويوظف مخرجاته لمساعدة صناع القرار وتوجيه الرأي العام نحو بناء دولة المؤسسات.

تأسس المركز في الاول من شباط (فبراير) 2014 في مدينة النجف الأشرف على شكل مجموعة افتراضية في الفضاء الالكتروني تضم عددا من السياسيين والأكاديميين ورجال الدولة التنفيذيين والقضاة والدبلوماسيين ورجال الدين، وقد تطورت الفكرة لاحقاً، ليتم إكسابها الصفة القانونية عن طريق تسجيل المركز في دائرة المنظمات غير الحكومية NGO التابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي.

يضم «مركز الرافدين للحوار RCD» اليوم كمشاركين في برامجه وفعالياته ونشاطاته أكثر من خمسة الاف عضو عراقي وعربي واوربي واسيوي من التوجهات السياسية والاختصاصات الأكاديمية كافة، اتفق فيه الجميع على اعتماد الحوار ركيزة أساسية لمواجهة المشكلات، وإنتاج حلول استراتيجية، تتناغم ورؤية المركز في بناء شرق اوسط جديد ومختلف ينطلق من عراقٍ مزدهرٍ. كما يعمل في اروقة المركز وضمن كوادره المتقدمة اكثر من 70 شخصاً فاعلاً ومن مختلف الاختصاصات قد توزعوا ما بين مجلس الادارة وهيأة المستشارين والباحثين وزملاء المركز والكادر الاداري فهم يتنافسون فيما بينهم من اجل تقديم النتاجات العلمية والثقافية والرؤى السياسية والاجتماعية والاقتصادية الرصينة التي تخدم الوطن والمواطن.

لم يكتفِ المركز بالتواصل الالكتروني، بل أقام مجموعة من النشاطات على أرض الواقع شملت عدداً من الندوات والمؤتمرات وورش العمل والجلسات الحوارية التخصصية والملتقيات السنوية وفي مجالات متعددة، كما عمد المركز الى الاهتمام بالنتاجات العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تصدر في قارتي اوربا واسيا حاملاً على عاتقه ترجمتها الى اللغة العربية للاستفادة منها، فضلاً عن طباعة الكتب المؤلفة ذات الصلة بالواقع السياسي والثقافي والاقتصادي والامني، كما شرع بنشر سلسلة الاطاريح والرسائل الجامعية التي تعنى بالأمور التي تخدم الصالح العام فقد تمت طباعة مجموعة منها، كما اعد المركز مجموعة من استطلاعات الرأي الميدانية الى غير ذلك فضلاً عن اصداره مجلةً علمية محكمة تضم بين طياتها مجموعة من الابحاث والمقالات العلمية والثقافية تحت مسمى مجلة (رواقات).

فيما يعد ملتقى الرافدين (RCD-FOURM) معلماً بارزاً ضمن انشطة المركز والذي يعد الاول من نوعه في العراق، والاكثر سعةً وتنظيماً، ويهدف الى اثراء الحوار بين صناع القرار والخبراء في القضايا التي تهم البلد والشرق الاوسط، وتعزيز النقاشات بشأنها، وتبادل الخبرات وابرام الاتفاقيات ومذكرات التفاهم وآليات التعاون.

مقالات RCD

تصارع القوى الكبرى:
ملامح الهوة بين نظامين

رضا طلال
ناشط سياسي مهتم بالعلاقات الدولية

تصارع القوى الكبرى: ملامح الهوة بين نظامين

تتكشف المؤشرات المدلِلة على أننا نعيش لحظة انتقال عميق، في المشهد العالمي الراهن، وأن هذه اللحظة لا تعبر فقط عن صراع جيوسياسي أو سباق تسلح تقليدي، بل تفاعل عنيف لإعادة تعريف النظام العالمي برمته. فالولايات المتحدة، ومنذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، سارعت بتقديم نفسها على أنها الضامن للنظام الليبرالي الرأسمالي العالمي، نظامٌ بُني على شبكة مؤسسات كالأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي وحلف الناتو، وتم تعزيزه بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في 1991 بلحظة الأحادية القطبية كما يذهب (تشارلز كراوتهامر). لكن هذه المعادلة ومخرجاتها لم تَعُد فعالة كالسابق؛ فقد أضعفتها الانقسامات الداخلية في واشنطن، والانهاك الاقتصادي والعسكري، والتحديات المتصاعدة من قوى صاعدة على رأسها الصين وروسيا.

أمريكا: حارس النظام المتعب

ما زالت واشنطن تمتلك أقوى شبكة تحالفات وأضخم اقتصاد، وتظل القوة العسكرية الأكثر قدرة على الانتشار عالمياً. لكنها لم تعد قادرة على ممارسة الهيمنة منفردة كما فعلت في عقد التسعينيات وبداية الألفية الثالثة. فالانقسام الداخلي بين الحزبين، وتراجع الثقة بالمؤسسات، وتآكل صورة "الزعيم الأخلاقي"، كلها عوامل تحدّ من جاذبية النموذج الأمريكي. كذلك، حرب أوكرانيا أظهرت حدود قدرة واشنطن على الحسم، إذ اضطرت إلى إدارة الصراع بالوكالة عبر الدعم المالي والعسكري، من دون الدخول المباشر في مواجهة مع موسكو. هذا التردد يكشف أن أمريكا لم تعد مستعدة لدفع الثمن الكامل لقيادة مطلقة، بل تحاول الحفاظ على النظام الحالي بأقل كلفة ممكنة.

الصين: من قوة صاعدة إلى قطب متكامل

إن الصين تمثل الطرف الأكثر ديناميكية في المعادلة. لعقود وُصِفت بأنها "قوة صاعدة"، لكنها اليوم تحاول تجاوز هذه الوصمة لتصبح قوة مكتملة. فاقتصادها، رغم التحديات، ثاني أكبر اقتصاد في العالم، وقد ارتبطت عشرات الدول بمبادرة "الحزام والطريق" التي ستُحوّل النفوذ الصيني الاقتصادي إلى أداة جيوسياسية. لكن الرسالة الأقوى جاءت مطلع أيلول / سبتمبر الجاري من ميدان تيانانمن في بكين، حيث نظمت الصين أكبر استعراض عسكري في تاريخها، كشفت فيه للمرة الأولى عن ثلاثية نووية مكتملة: صواريخ برية عابرة للقارات، غواصات قادرة على إطلاق الرؤوس النووية، وقاذفات جوية استراتيجية. إلى جانب ذلك، عرضت صواريخ فرط صوتية، وغواصات مسيّرة، وطائرات شبحية متطورة، في مشهد لم يكُ صدفة.

الاستعراض لم يكن مجرد عرض تقني، بل إعلان سياسي واضح: أن بكين لم تعد قوة تسعى الحاق بالغرب، بل قوة تُعرّف نفسها نداً وقطباً لا يمكن تجاوزه. ومن هنا، يتحول الخطاب الصيني من المطالبة بمكان متناسبة مع إمكاناتها، إلى تقديم بديل محتمل لطريقة إدارة العالم.

روسيا: عملاق جيوسياسي بأرجل طينية

روسيا تمثل حالة خاصة. اقتصادها محدود إذا ما تمت مقارنته مع الولايات المتحدة أو الصين، لكنه مدعوم بموارد طاقة هائلة وقدرات عسكرية ضخمة. تدخلها في أوكرانيا يعكس مأزقها: فهي تخشى فقدان مجالها الحيوي وتراجع مكانتها كقوة عظمى، وفي الوقت ذاته تعرف أن مكانتها لا يمكن أن تُصان إلا عبر التصدي للتصعيدات والمضايقات الغربية المستمرة. لذلك، تحولت موسكو إلى شريك لا غنى عنه بالنسبة لبكين، ليس لقوتها الاقتصادية بل لصلابتها العسكرية واستعدادها الدائم لزعزعة الاستقرار، وهو ما يمنحها لقب «عملاق بأرجل طينية».

في الاستعراض الأخير ببكين، كان جلوس بوتين إلى جانب شي إشارة واضحة إلى هذا التحالف. لكنه أيضاً كشف التباين: فروسيا تبدو شريكاً يعتمد على الصين أكثر مما تعتمد الصين عليها. ومع ذلك، فإنها تبقى حجر أساس في أي محور مضاد للغرب، خصوصاً وهي ما تزال تملك أكبر ترسانة نووية في العالم.

كوريا الشمالية: الحلقة الأضعف والوجه العنيف في المحور

قد يظن البعض أن كوريا الشمالية مجرد لاعب هامشي، لكنها في الحقيقة تضيف بعداً رمزياً مهماً لهذا التوازن الجديد. وجود كيم جونغ أون إلى جانب شي وبوتين لم يكن مجرد لفتة بروتوكولية. كوريا الشمالية، رغم اقتصادها المنهك، دولة نووية تملك القدرة على إرباك موازين الردع في شرق آسيا والإندو باسيفيك. فهي تشكّل ورقة ضغط على الولايات المتحدة وحلفائها في كوريا الجنوبية واليابان، وتُضفي على المحور الصيني–الروسي بُعداً نووياً إضافياً. كما أن جرأتها في تحدي الغرب تمنحها قيمة سياسية تفوق وزنها الاقتصادي.

جوهر الصراع: الشرعية وصياغة القواعد

الذي يجري اليوم ليس فقط منافسة على مناطق النفوذ، بل على الشرعية نفسها: من يملك حق صياغة قواعد النظام الدولي؟ الغرب ما زال يراهن على مؤسساته التاريخية: الأمم المتحدة، مؤسسات بريتون وودز، الناتو، الاتحاد الأوروبي، وغيرها. لكن هذه المؤسسات لم تعد تحظى بذات القبول العالمي. فالدول النامية باتت تنظر إليها كأدوات تخدم مصالح الغرب أكثر مما تخدم النظام العالمي.

في المقابل، تعرض الصين وروسيا ومعهما كوريا الشمالية بديلاً يستند إلى فكرة "السيادة المطلقة" ورفض الإملاءات الغربية. هذا البديل يلقى صدى لدى دول تشعر بأنها كانت دائماً في خانة التبع، خصوصاً في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية. لكن هذا المشروع يظل هشّاً؛ فالصين تريد الاستقرار لنمو اقتصادها، بينما تحتاج روسيا إلى الفوضى لتأكيد حضورها، وكوريا الشمالية تبحث عن ضمان بقاء نظامها بأي ثمن. هذه التناقضات تجعل المحور الجديد خطيراً، لكنه غير متماسك بالكامل.

الساحات الوسيطة: مختبر التوازنات

المعارك الكبرى لا تُحسم في بكين أو واشنطن أو موسكو وحدها، بل في الساحات الوسيطة: الشرق الأوسط، آسيا الوسطى، وأوروبا الشرقية. هذه المناطق أصبحت مختبرات حقيقية للتوازنات الجديدة. في الشرق الأوسط مثلاً، لم تعد الدول ترى نفسها مضطرة للانحياز الكامل لواشنطن؛ فهي توازن اليوم بين شراكات أمريكية تقليدية وفرص اقتصادية صينية، مع حسابات أمنية روسية. آسيا الوسطى، بدورها، ساحة نفوذ تقليدية لروسيا، لكنها تشهد تمدداً صينياً اقتصادياً متسارعاً. أما أوروبا الشرقية فهي ساحة الصدام المباشر بين الغرب وروسيا، حيث يتوقف مصير أوكرانيا على توازن هذه القوى.

الفراغ بين نظامين

المحصلة أن العالم يعيش فراغاً خطيراً بين نظامين. أمريكا لم تعد قادرة على الانفراد، وبكين وموسكو وبيونغ يانغ لم تبلور بعد نظاماً بديلاً متماسكاً. نحن أمام لحظة سيولة استراتيجية: كل خطوة دبلوماسية أو عسكرية تحمل وزناً يتجاوز حجمها، وكل خطأ في الحسابات قد يشعل أزمة كبرى.

في هذا الفراغ، تتحرك القوى العظمى بدافع إثبات الوجود أكثر مما تتحرك بحثاً عن تسويات. وما يبدأ في أوكرانيا أو تايوان قد يترك ارتداداته في الخليج أو البلقان أو أفريقيا. هذه هي خطورة المرحلة: ليس أننا أمام نظام جديد مستقر، بل أننا عالقون بين نظام قديم يتآكل، ونظام جديد لم يولد بعد.

الخاتمة: نحو عالم غير محسوم

أرى أن هذه اللحظة أخطر من الحرب الباردة، لأن في الحرب الباردة كان هناك نظامان متماسكان وضابط واضح لقواعد اللعبة. أما اليوم، فنحن أمام قوة أمريكية متراجعة، وقوة صينية صاعدة، وروسيا مأزومة لكنها نووية، وكوريا شمالية صغيرة لكنها مزعِزعة. كل طرف يريد أن يُثبت أنه لا يُستبعد، وكل طرف يتحرك في ظل فراغ مؤسساتي وأخلاقي.

العالم الذي يتشكل الآن ليس أحادياً كما كان في لحظة 1991، وليس ثنائياً كما كان في الحرب الباردة، بل هو عالم متعدّد الأقطاب، لكن من دون ضوابط راسخة. هذا ما يجعل المرحلة الحالية الأكثر خطورة: نحن لا نعيش نظاماً جديداً، بل انتقالاً بين نظامين. وفي هذا الانتقال، تُكتب قواعد اللعبة بالدم والسياسة في آن واحد.

www.alrafidaincenter.com
009647826222246
alrafidaincent

alrafidaincenter.com
alrafidaincent
ص . ب . 252

info@alrafidaincenter.com
مركز الرافدين للحوار RCD
العراق - النجف الاشرف - حي الحوراء - امتداد شارع الاسكان
العراق - بغداد - الجادريـة - قرب تقاطـع ساحة الحريـة